الرؤية

بقلم: سلمى الورداني

obeikan.com

النور، حيث النجاة من إحدى طبقات الجهل. حيث نرى أن الظلام لم يكن إلا ممرًّا، وأن الألم، الذي يسبق الرؤية، لم يكن إلا سبيلاً. فتُدْرَك الحكمةُ وراء العجز والوهن. وقتَ تجد عقلَك، بعد طول عناءٍ، قد ابتسم فهمًا أخيرًا.

لِنُلقِ نظرة على فعل الرؤية.. لفظ «رأى» إذا ما نظرنا إليه لغويًّا سنجد أنه قد قَسّم مراحلَ الإدراك، فجعل «رأى» المقارب لـ «نظر وشاف» ينصب مفعولاً واحدًا، وجعل «رأى» المقارب لـ «أدرك» ينصب مفعولين، وجعل «رأى» المقارب لـ»شاهد في الحلم» ينصب ثلاثة مفاعيل. ومن هذا المدخل اللغوي يتضح أن مراتب دخول الفكرة وإدراكها تمر على ثلاثة أجزاء: فالأول العين، والثاني العقل الظاهر، والثالث العقل الباطن.

أما عن تكوينها، فالرؤية كما أُخبرنا كثيرًا، لا يمكن جمعها إلا عن طريق إدراك كل جوانب الأمر. ولذا فمناط الحديث هنا هو الرؤية بمعنى الإدراك، المرتبة لغويًّا بالثانية. وهي التي لنا فيها عمل والتي نبني فيها حقيقة على حقيقة أخرى.

لكي تستطيع رؤية كل أجزاء الصورة -كي تكونها- فإن عليك النظر إليها من كل اتجاه، وتقليب أوضاعه، والنظر في الحقائق وتفنيدها. حتى إذا لاقيتَ ما يصفه الناس بالكارثة، أدركت أن تلك «الكارثة» هي عين لطف الله بالمرء، فهي إما ابتلاءٌ وإما رحمة. والإدراك () هو الموصل للرضا بالقضاء، فأول سؤال يُطرح حين وقوع أمر ما، هو «لِمَ؟». وإجابة هذا السؤال توصل للإدراك الموصِلِ للرضا الموصِلِ للسعادة. ولذاك علّمونا «وسع مشهدك تنل مسعدك» ، أي: اجعل مجال رؤيتك على اتساعه تَرَ الكثير من مظاهر اللطف و جماله. وحسبنا قوله تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا» ، فإن المُقَدِّر قد بيّن سبيل الرضا بقضائه.

وإن قمة النعمة تَجدُّد الرؤية، بمعنى: رؤية شيء جديد في كل مرة فتصبح رؤيتك أكثر بيانًا. ومن هنا نجد الشاعر يقول: «إن الأحبة في الفؤاد محلهم لكن عيني تشتهي أن تنظرَ». وتجدد الرؤية هو أحد سبل استمرار الحب، حيث تبدو حقيقته أكثر «فلا يمتلك أحدٌ أحدًا.. ولا يعرف مفاتيحه حتى كما يدّعون.. إنما يكفينا من ذوي الجمال تمتعنا بالنظر في ذواتهم.. فلا امتلاكنا لجمالهم ولا أسرارهم يرضينا كما يرضينا رؤية مبدعهم فيهم!» ، فحقًّا قد «سُرَّ من رأى» .

وإن بعض الخلق أحيانا من خوفهم من رؤية النور وما قد يتبعها، ومن اعتيادهم على الظلام، جعلوا من محاولة الوصول إلى النور جريمةً ، وجب عقاب من يحاول فعلها أو الحجر عليه. والخوف المكبِّل هو من أفظع ما قد يتسلط على المرء، لأنه يدفعه إلى الوقوف والموت قبل الموت.. ولذا أرى -فيما يعي عابرٌ- أن الخائفين هم من أكبر العوائق التي تعرقل محاولة النظر، حيث أن أحاديثهم لا أحسبها إلا مُغْلِقَةً للآفاق، فصُمَّ عنهم الآذان، ثم افتح عيونك! وانظر لتعلم... .

obeikan.com